

العولمة : الأبعاد، الآثار، البديل

الأستاذ/ بلغيث سلطان

أستاذ مكلف بالدروس -قسم الاجتماع-

المركز الجامعي تبسة

ملخص

لاقى موضوع العولمة من الاهتمام والبحث والتشخيص والمعالجة، ما لم يسبق لغيره من الموضوعات أن حظي به، ونتيجة لذلك تعددت وجهات النظر بشأن أطروحة العولمة، فهناك من يعتبرها بداية النهاية بالنسبة لنظام الرأسمالية.

وهناك من يعدها باثولوجية مرضية تعتري نظام الهيمنة العالمي، في حين يرى البعض الآخر أن نظام العولمة هو مرحلة ضرورية لتطور البشرية، وفرصة لا يجب تفويتها للانخراط في دواليب العصر السريعة.

غير أن الزمن المنقضي من عمر العولمة تسويقا وممارسة، جعل الكثير يراجعون حساباتهم مُشككين في صدق دعاوى العولمة، التي تتقن فن المراوغة اللفظية، متطلعة من خلال ذلك إلى اختزال الكل في واحد، وتنميط الفكر البشري، والسعي لجعل الكرة الأرضية صدى للنموذج المهيمن عالميا.

وفي محاولة لإصلاح الخلل الناجم عن إهمال جانب مهم في حياة الإنسان من خلال إنعاش الحياة الروحية للإنسان حتى يستقيم منهاج البشرية، وتعود إلى ممارسة الحياة الخلاقة، وذلك لن يتأتى إلا من خلال تجسيد مشروع العالمية الذي يمثل البديل الحضاري الأقوى والأجبع في إعادة التوازن إلى المركبة البشرية وإنقاذها من متاهات جموح قطار العولمة.

Summary

Christians were the subject of globalization attention and research, diagnosis and treatment, unless previously for other topics that received. As a result, numerous viewpoints on the thesis of globalization. Some considered the beginning of the end for the system of capitalism. There is prepared pathological condition satisfactory in the system of global hegemony, while others see the system of globalization is a necessary stage in the evolution of mankind. The opportunity must not be missed to engage in rapid wheels of the times.

However, the elapsed time from the age of globalization and the practice of marketing, make a lot are re-examining their positions, lawsuits in the truth of globalization, , which mastered the art of prevarication verbal, looking through that to reduce everyone in one, and the standardization of human thought, and the quest to make the globe echoed the dominant model globally. In an attempt to redress the imbalance caused by the neglect an important aspect of human life through the revitalization of the spiritual life of man in order to make the human Beijing, and return to the practice of creative life, This will be achieved only through the embodiment of the draft global civilized alternative, which represents the strongest and most effective in restoring the balance to the composite human and horse salvaged from the maze of globalization.

لم يعد هناك خلاف على أن العالم يشهد اليوم تغيرات نوعية تكتسح مختلف جوانب الحياة الإنسانية، تاركة الكثير من الآثار والإنعكاسات على الصعيدين المحلي والكوني ولعل أكثر الموضوعات المثيرة للجدل هذه الأيام هو موضوع العولمة، وآية ذلك هذا الكم الهائل من الخبر الذي أسيل حول هذا المفهوم، وتلك السجلات الفكرية التي تناولته بالدراسة والفحص والتشريح كاشفة عن أهم الحثيات والخبائا التي تكتنفه فالعولمة- على غرار غيرها من الأطروحات السابقة لها- جاءت مفعمة بسلسلة من الأماني تُزينها الشعارات البراقة واعدة العالمين بتجاوز آلامهم وتحقيق رفاهيتهم في رحاب عهدتها التي لم تحدد مكانها، في حين أخفت بعمليات تحميلية ماهرة- بل ماكورة- الكثير من التجاعيد التي تتخلل وجهها المترهل والتي تقف شاهدة على شيخوختها نافية ميزة الشباب عنها، كاشفة عن أمارات الوعيد التي تفنن صناع تمثال العولمة في إخفائها عن الوري طمعا في استمرار مسيرتهم لتمويهية الرامية إلى الهيمنة المستدامة في غمرة انشغال الشعوب المستضعفة باستهلاك الترف الفكري الوافد من الغرب الذي اعتاد ممارسة هواية التلاعب بالألفاظ، لإغواء العالم بأهدافهم المعلنة وصرف الأنظار عن أهدافهم المبيتة والتي بدت تطفو على السطح بعد فترة ليست طويلة من عزف هذه السمفونية التخديرية التي ترمي إلى جعل الكوكب الأرضي صدى لها.

والحقيقة أنه على الرغم من قصر عمر العولمة على الأقل على مستوى التداول السياسي والإعلامي، فإن الكثير من الكتابات، ورغم أنها مبكرة نوعا ما، إلا أنها لم تتردد في تبشير ساكنة المعمورة بأفول نجم العولمة واعدة إياهم بقرب موعد رحيلها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل ضعف تصميمها، وهشاشة بنائها، حيث بدت الشقوق والتصدعات، تكشف عن زيف الكثير من وعودها ودعاواها، مما دفع الكثير من مناهضي مشروع العولمة إلى المسارعة بحشد قواهم، والتنادي إلى بديل حضاري أكثر كفاءة وتماسكا لخلافة العولمة في الدورة الحضارية الجديدة. وعليه فهذه الدراسة تُمثل قراءة تحليلية لراهن العولمة، وآثارها على مختلف الأصعدة، تتيح لنا أن نسلط ضوءا خافتا يُمكننا من الوقوف على مرحلة ما بعد العولمة واستكشاف بعض ملامح ومالم البديل الحضاري المنتظر.

وسُتُحاول هذه الإطلالة العلمية المقتضبة تحديد مفهوم العولمة، وإبراز أهم أبعادها مركزة على الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، مُشيرة إلى أهم والآثار التي تكتنف كل شكل من هذه الأشكال، لتصل في نهاية المطاف إلى اقتراح بديل مناسب للعولمة، يكون أكثر كفاءة في تلبية تطلعات الإنسان، وتحقيق خير الإنسانية.

1- ماهية العولمة:

العولمة مفهوم مُراوغ، متشعب المعاني، متعدد الدلالات، كما أن هلامية المصطلح وعموميته تصعب من مهمة بلورة مفهوم يحضى بالقبول العلمي. وبالنظر لكثرة الأبعاد والتحليلات التي تنطوي عليها العولمة كظاهرة كونية شديدة التعقيد فإنها أقرب إلى الوصف منها إلى التعريف، إذ أنه "من المبكر وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة، فعلى سبيل المثال يُقيم مفهوم العولمة علاقات بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الإيديولوجيا... في ظل ذلك كله، فإن مهمة إيجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى ولو تم تطوير مثل هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع"⁽¹⁾.

ومع ذلك فلن يعفينا هذا الأمر من محاولة البحث عن تعريف إجرائي نحاول من خلاله الاقتراب من هذا المفهوم كما يراد له أن يكون قي المشهد المعيش، والواقع المعين الخفوف بإفرازات نظام العولمة، هذا النظام الذي يتكئ على وفرة رؤوس الأموال وحرية انتقالها، وكثرة البضائع وسهولة تسويقها، معززة بترسانة-هائلة من أحدث التقنيات الإعلامية والمعلوماتية التي تخرق كل الحواجز"دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم"⁽²⁾.

وحينما يؤسس غلاة الغرب لهذا النظام فإنهم ينطلقون من أجندتهم الخاصة التي تتضمن فكرتهم عن العالم باعتباره أداة لا أهمية لها تنمو فيها الرأسمالية وتنتصر في كل مكان بالطريقة نفسها، فالزعم بأن العولمة هي عملية توحيد العالم وإدماج مجموع الإنسانية ضمن إطار نمطي عالمي، يحمل في طياته عوامل نفية لأن محركات الواقع تشهد بازدياد اهوة اتساعا بين الأغنياء والفقراء بفعل تصاعد وتيرة النهب العالمي المنظم واتساع نطاقه وكذا بين أصحاب العقائد المختلفة؛

وبالتالي فالكرة الأرضية تمر بلحظات انتقالية عصبية يُعاد فيها هيكل منظومة العلاقات الدولية وفق ما يخدم مصالح الكبار في العالم ولو تطلب ذلك إفقار الشعوب وتضليل الرأي العام العالمي، وتصفية النخب المستنيرة، وقتل الإبداع لدى الآخرين، ونفي القيم الفاضلة، واستنزاف مقدرات الأمم البشرية والمادية تحت مُسوغ الاحتكام لمنطق المضاربة الذي يُخضع كل شيء لقانون السوق. بما في ذلك القيم والثقافات، وهي مرحلة من الابتذال والمسخ، غير مسبقة في التاريخ الإنساني برمته.

وهناك العديد من التعاريف التي قُدمت للعولمة والإحاطة بها جميعا ليس بالأمر اليسير ولذلك سنكتفي بالإشارة لأهم التوجهات الكبرى التي تبلورت في التصدي لتعريف مفهوم العولمة.

مصطلح العولمة هو ترجمة للكلمة **mondialisation** "أما كلمة **globalisation**، فتعني الكوكبة وتعني أيضا الكونية.

والعولمة في اللسان العربي مشتقة من العالم الذي يُقصد به (الخلق) كما في قاموس مختار الصحاح، ويتصل بها فعل عولم أي جعل الشيء عالميا، على وزن قولب أي جعل الشيء في قالب.

وتُشير بعض الدراسات التي تقصت مصطلح العولمة في القواميس أن "قاموس أكسفورد الإنجليزي كان سباقا لإدراج هذا المصطلح مع أواخر سنة 1262، وقد تردد استخدام هذا المصطلح منذ هذا التاريخ وتم التوسع في استخدامه خلال التسعينات من القرن المنصرم"⁽³⁾. ومهما تعددت السياقات التي ترد فيها العولمة، فإن المفهوم الذي يُعبر عنه الجميع في اللغات الحية كافة هو الاتجاه نحو السيطرة على العالم وجعله في نسق واحد من خلال سياسة الترميم متعددة الأبعاد والأوجه، ومن هنا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة بإجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالميا.

وقد أشار المفكر العربي "برهان غليون" في تعريفه للعولمة إلى أن نزوع العالم للتوحد لا يعني إطلاقا- كما يتخيل البعض- التجانس والتساوي في جني الامتيازات وحصد المكاسب، بل هي حلقة ضمن سلسلة تهريب خيرات الشعوب وتعميق درجة الحرمان فيها، وبالتالي فالعولمة هي "ديناميكية جديدة تبرز دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة

في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة ... يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة وبالتالي لهوامشها أيضا⁽⁴⁾.

فالتبشير بتجميع البشر باستغلال العلم ومنجزاته التي تنطوي على القوة، بما في ذلك القوة العسكرية سرعان ما انقلب إلى لعبة مكشوفة غايتها المثلى سهولة انتقال المصالح وسرعة مردودها، فإذا كان الابتزاز يتم بالأمس القريب بطريقة سريعة فإنه اليوم ينفذ بطريقة أسرع وأكثر صلفاً.

ونجد من يرى أن العولمة هي عبارة عن بوتقة تتمازج فيها مختلف جوانب الحياة الإنسانية" الاقتصاد ثم السياسة والثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله"⁽⁵⁾.

والحقيقة أن العولمة لا تتضمن خصائص عالمية، بل سمات غربية يراد لها أن تنال صفة العالمية، وبتعبير أدق فإن العولمة "هي عملية انصهار اقتصادي وسياسي وثقافي لشعوب وثقافات الأرض في بوتقة واحدة تُصبغ بصبغة القوى الفاعلة والمؤثرة فيها"⁽⁶⁾.

إن التسهيلات التي توفرها العولمة للشركات المتعددة الجنسيات جعلتها تستشري و تتموقع في كل زاوية من زوايا هذا الكوكب، ولذلك نجد أحد رجالات المال والأعمال يعرف العولمة بأنها "حرية مجموعته في الاستثمار في المكان الذي تريد، لإنتاج ما تريد والشراء والبيع حيث تريد في ظل أقل القيود الممكنة من حيث حقوق العمل والأعراف الاجتماعية"⁽⁷⁾.

ولهذا فإن الباحث 'غوميت' يحذر من التسرع في إطرء العولمة لكونها "ما زالت غير واضحة المعالم، لا من حيث تحديد المفهوم، ولا من حيث اختبارها على الواقع، لذا يحذر من المبالغة بأهمية هذه الظاهرة، كظاهرة تُلغي التمايز القومي إلغاء تاماً لصالح الشركات المتعددة الجنسيات التي تقف خلف القوى الكبرى والمنظمات الدولية كمنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي، وغيرها من الهيئات الدولية التي تمتد متغلغلة في كيانات الدول على طول العالم وعرضه، مساهمة في توسع نطاق التبعية لدوائر النفوذ الغربي.

وهي إشارة واضحة إلى استفحال نفوذ هذه المؤسسات واشتداد قبضتها على الدول الفقيرة بالخصوص وهكذا فالعالم "لم يعد يحكمه رجال السياسة وإنما المنظمات الاقتصادية الدولية الكبرى..."⁽⁸⁾.

فالشركات العملاقة في العالم تستغل رداء العولمة متوشحة به كقناع تتحرك خلفه للتوغل في مختلف أنحاء العالم مستفيدة من التشريعات العالمية التي توفر لها غطاء الحماية كي تروج للنموذج الأمريكي المهادف إلى الهيمنة عن طريق رؤوس الأموال.

وإلى جانب رؤوس الأموال تقف أعنى التقنيات الإعلامية وأحدثها وتفنن في صنع المشهد العالمي على الطريقة الأمريكية تجسيدا لحلم الرئيس الأمريكي الأسبق 'نيكسون' الذي قال : نحن لسنا مجرد ركاب في قطار التاريخ، بل نحن قادة وأمانا فرصة لتصنع قرنا أمريكيا ثانيا. فالعالم الذي فشلت النظريات والمذاهب والعقائد المُحرفة في توحيده، يُراد له الآن أن يتوحد عن طريق شبكات الإعلام والمعلومات، ولذلك نجد من يُعرف العولمة باعتبارها " نظام عالمي يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود" (9).

ولعل هذه الترسانة الهائلة من الأسلحة المعلوماتية تتيح لُقواد منطاد العولمة ضبط إيقاعات مشهد التغير العالمي حتى لا يفلت من رقابة الغرب ويحافظ على مركز القيادة والريادة فيه، وهكذا تبدو العولمة كأطروحة أمريكية متعالية بمثابة ايدولوجيا نرجسية " تضع الغرب نموذج (الإنسان)، ونموذج (التقدم)، ونموذج (الحضارة)، والآخرين تتحقق إنسانيتهم، ويحصل تقدمهم، ويتحضرون على قدر اقتراحهم من نموذج الغرب" (10).

وعلى الصعيد الثقافي- وهو أخطر الأصعدة وأكثرها حساسية- تسعى أمريكا إلى تحقيق حالة من الشمولية الثقافية بتعميم ثقافة واحدة ونمط وحيد للحياة على الأمم على الرغم من أن سنن الحياة تقتضي التنوع بحيث تحتفظ كل أمة بخصوصياتها وتنفرد بانيتها التي تصون كيانها من الذوبان والتلاشي غير أن عولمة الحرية الأمريكية لا تسمح إلا بثقافة الاستعلاء الغربي وتوفر لها الجو كي تسود وتتوسع " وحينما تشير العولمة بانتهاء عصر الإيديولوجيات، فإنها تفسح الطريق لإيديولوجيا وحيدة مهيمنة لا تعترف إلا بثقافة واحدة بما تنطوي عليه من أنماط إنتاج واستهلاك وحياة واحدة ولا يرجع انتشار ثقافة العولمة إلى كونها أكثر إنسانية، ولكنها ثقافة الغالب" (11).

وعليه يمكن القول أن العولمة هي فرض إرادة القوى المتنفة عالميا وتكريس لمشئمة الغالب فهي " ثمرة طبيعية لرغبة الكيانات الكبرى في التوسع، والسيطرة، الهيمنة، وإملاء الإرادة وبسط النفوذ" (12).

فالعولمة كلفظة تاريخية في مسار التطور الإنساني جاءت مفعمة بالتحويلات، ومزدحمة بالتغيرات السريعة والعميقة، إذ لم يعد في الإمكان التحكم في سرعة الأحداث المتلاحقة والتي أعيت الجهاز الذهني للإنسان وجعلته عاجزا أحيانا عن مواكبة سرعة الأحداث التي تتدفق بوتيرة مذهلة غير عابئة بالحواجز والحدود. وتأسيسا عليه فإن أقرب تعريفات العولمة -على كثرتها وتشعبها- إلى القبول الأكاديمي؛ هو ذلك الذي يصف العولمة بكونها: عملية ديناميكية تتيح حرية عبور الأموال والبضائع والمعلومات والبشر دون حواجز أو معيقات عبر كافة مناحي الكرة الأرضية.

وتأسيسا عليه فإن العولمة "في واقعها وحقيقتها ومضمونها ظاهرة ذات طابع حركي ديناميكي، فهي ظاهرة متكاملة الجوانب والأبعاد، ظاهرة وإن كانت بسيطة في الشكل إلا أنها معقدة في الحقيقة والمضمون، إن هذه الظاهرة المركبة فرضت نفسها بشدة فائقة القسوة على مجريات الأحداث، وعلى اتجاهات الرأي العام ومنتديات الفكر، إلى الدرجة التي تنوعت فيها الآراء والاجتهادات.." (13).

2- أبعاد العولمة

كما سبقت الإشارة فإن العولمة ظاهرة شديدة التعقيد، تتشابك في صنع مشهدها عوامل عدة، وعليه يمكن النظر إلى مفهوم العولمة " باعتباره مفهوما مركبا يشتمل على أبعاد اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية متعددة، ولعل صفة التركيب تلك لا تنبع فقط من تعدد الأبعاد التي يشير إليها المفهوم، وإنما من استخدامه أيضا للتعبير عن كل من المتغيرات التي تحدث في هذه الأبعاد المختلفة والآثار الناجمة عنها. وبعبارة أخرى، فإن العولمة ليست مجرد عملية وأحادية الاتجاه، وإنما هي في جوهرها تعبير عن ديناميكيات دياكتيكية معقدة" (14).

وعلى الرغم من أنه لا يمكن من الناحية العلمية الحديث عن أحد هذه الأبعاد بمعزل عن الأبعاد الأخرى كونها تتبادل التأثير، إلا أننا سنحاول استحداث تقسيم إجرائي فقط تيسيرا لحصر هذه الأبعاد ورصد أهم الآثار المترتبة عنها.

2-1- البعد الاقتصادي

جاءت عولمة الاقتصاد لتشكل واحدة من أهم آليات الجراحة العلاجية للمشكلات التي تعاني منها الدول الصناعية المتقدمة، ولتنتقل بالاقتصاد العالمي من مجموعة اقتصاديات وطنية متمحورة على ذاتها إلى تفكيك هذه البنى المتمحورة على ذاتها في قلب النظام العالمي؛ وبالتالي يمكن وصف العولمة الاقتصادية بأنها " الحركة النشطة والحرّة و المتسارعة للمبادلات العالمية، المالية والتجارية، هي إلغاء الحدود والحواجز التشريعية والجمركية وخلافها أمام حركة تنقل السلع ورؤوس الأموال..." (15).

فالعولمة في توجهاتها نحو السوق الحرة والمفتوحة تُقدم للمستثمرين امتيازات مغرية للتوسع في نشاطاتهم في ظل حوافز خفض الرسوم والضرائب وأعمال الجباية، مما يؤدي إلى تلاشي الحدود وتدفع رأس المال ممثلا في تموقع الشركات متعددة الجنسيات في كل زاوية من زوايا هذا الكوكب "وتتقاسم خمسة بلدان رئيسة هي الولايات المتحدة واليابان وفرنسا وألمانيا وبريطانيا فيما بينها وحدها 172 شركة من أكبر مئتي شركة في العالم. وهذه الشركات مسؤولة عن ثلث الناتج العالمي (من سلع وخدمات) و 75% من الطاقة العالمية الخاصة بالبحث والتطوير، وهي تستخدم أكثر من 75 مليون عامل" (16).

وتتمحور مبادلات الشركات المتعددة الجنسيات حول مختلف القطاعات ولاسيما منها قطاعات (البترول، السيارات، التكنولوجيا المتقدمة، البنوك) وتعتمد هذه الشركات على شبكة عملاقة من الفروع في الخارج كامتداد لها في الدول النامية، وتتضمن تلك الشركات العظمى حل إن لم نقل كل المبادلات العالمية، وتحقق 70% من الاستثمارات المباشرة في الخارج باعتبارها المحرك الرئيسي لتوسعها.

وتقف معطيات الواقع شاهدة على بطلان مزاعم دعاة العولمة والتحرير المالي والتجاري والمدعية بأن " البلاد النامية سوف تستفيد من تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة، إلا أن ذلك لم

يحدث فقد تين في العقدين الماضيين أن أكثر من 90% من حركة الإستثمارات الأجنبية المباشرة تذهب أساسا إلى البلدان المتقدمة (الولايات المتحدة-أوروبا-اليابان والصين). أما بقية البلاد النامية فقد حصلت على أقل من 10% من تلك الحركة⁽¹⁷⁾.

فمنطق العولة المتوحشة يقتضي الشراء الفاحش على حساب عرق الفقراء إذ أن ثلاثة أثرياء في العالم تزيد ثرواتهم الشخصية على مجموع الدخل القومي الذي تحصل عليه 48 دولة سنويا، بينما يعيش ما يزيد على 1.5 مليار إنسان من أبناء العالم الثالث في حالة فقر مدقع.

غير أن الشركات المتعددة الجنسيات المترامية في كل شبر من الكرة الأرضية بدأت منذ مدة تثير حفيظة الكثير من المراقبين نظرا لخضوعها لولاءات سياسية تتحرك خلف الكواليس وتتيح التوغل في الجسد العالمي بواسطة آليات الاستتباع الاقتصادية واستثمارها فيما بعد في شكل مواقف سياسية لصالح الدول الغنية" والخطر في الأمر أن منطق السوق الحرة الذي تعتمده العولة...هو الذي بات يسود ويقرر، وليس مندوبوا الشعب، وتسربت السلطة كحفنة الرمال من بين أصابع الساسة ليقبض عليها رجال الاقتصاد المسيطرون على الميديا والاتصال والمعلوماتية، وتكنولوجيا الجينات"⁽¹⁸⁾.

فرجال المال والأعمال من خلال نفوذهم المالي والإعلامي يستطيعون إدارة دفة العالم لاسيما مع طغيان المظهر الاقتصادي للعولة باعتباره قائد مسيرتها وراسم توجهاتها وتطلعاتها مما يشير إلى شكل من أشكال الانفلات من مسيرة التاريخ البشري فالعالم "لم يعد يحكمه رجال السياسة وإنما المنظمات الاقتصادية الدولية الكبرى، مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التعاون والتنمية في أوروبا، حلف الناتو، منظمة التجارة العالمية"⁽¹⁹⁾.

ويصف أحد الباحثين انزلاق النظام العالمي المزعوم وترديه في متاهات الفوضى قائلا: "إن النظام العالمي الجديد الذي بُشر به سرعان ما تحول إلى 'النظام عالمي'، تركزت فيه الهيمنة الأمريكية على الحكومة العالمية وسقطت كل أيديولوجية سياسية واقتصادية إلا أيديولوجيا الدولار، أي أن كل دولة تتبع في إدارة شؤونها، وفي إدارة علاقاتها الدولية ما يحقق مصالحها الاقتصادية بغض النظر عن أية اعتبارات أخلاقية"⁽²⁰⁾.

مما يجعل نظام العولة أشبه بالمطحنة التي يستعملها أرباب المصالح الاقتصادية في سحق الفئات المغلوبة على أمرها والتي تشكل غالبية المجتمعات، متجاوزين لكل القيم الأخلاقية هدفهم

الأوحد هو الربح مهما كان الثمن." وهكذا تحل الشركات متعددة الجنسيات محل الحكومات في إدارة الاقتصاد الوطني والتحكم بآلياته.

ومع استمرار نظام العولمة في اكتساح المزيد من المواقع، والسعي لتوسيع مساحة انتشاره على المستوى العالمي، تخشى الكثير من بلدان العالم الثالث أن "تظل حبيسة دور المنتج للمواد الأولية والمتلقي للمنتجات المصنعة من الدول المتقدمة وملجأ لتفريغ أزمتها"⁽²¹⁾. ومقبرة لدفن نفاياتها الصناعية.

أما الدول العربية فعلى الرغم من ضخامة مواردها فإن هذه التحولات ساهمت في إثقال كاهلها وزيادة الأعباء الاقتصادية وتفاقم ملف المديونية الخارجية، ومما زاد الوضع سوءا التشرذم العربي وغياب الجدية المطلوبة في معالجة مشروع التكامل الاقتصادي العربي ونتيجة لقساوة برامج الإصلاح المفروضة من قبل المؤسسات المالية الدولية، أضحت أغلب البلدان العربية لقمة سائغة في فك صناديق السمسة والنهب العالمي.

هذا هو العالم الذي وعد به الرئيس الأمريكي جورج بوش سنة 1990 واصفا إياه بالعصر الجديد، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم، أن تنعم بالرخاء وتعيش في تناغم مع المقطوعة الأمريكية التي تغيب فيها كل أطراف المشهد العالمي، ويُفرض فيها ذوق واحد على العالمين.

2-2- البعد السياسي

إن العولمة كما تُفصح عنها الأجندة الأمريكية الخفية تعني 'الأمركة' أي صياغة العالم بما يخدم ويجسد المطامح والمصالح العليا الأمريكية وهذا ما عناه أحد الرؤساء الأمريكيين حينما قال: نحن لسنا مجرد ركاب في قطار التاريخ، بل نحن قادة وأمامنا فرصة لنصنع قرنا أمريكيا ثانيا.

وهذه العبارة تحمل في طياتها عدة مدلولات تشير إحداها إلى سياسة الإخضاع والإذلال التي تنتهجها الإدارة الأمريكية، عن طريق تكثيف التدخل في الشؤون الداخلية لبلدان العالم بواسطة هيئات الإقراض مثل (FMI) والتجسس بحجة ممارسة دور الرقابة على إنتاج الأسلحة المحظورة، والإدعاء بالحرص على احترام حقوق الإنسان، وحماية الأقليات وهكذا تنصب أمريكا نفسها دركيا عالميا ينظم حركة العلاقات الدولية بما يخدم أطماعها ومصالحها المشبوهة،

وعموجب تقديم آيات الولاء والعرفان والطاعة يتحول العالم برمته إلى " تلاميذ مذنبين بحاجة إلى تربية في مدرسة واشنطن" (22).

وما يدل على صدق هذا الاتجاه تلك الحملات المسعورة التي تقودها أمريكا ضد كل دولة تريد أن تكون سيدة في قراراتها رافضة لسياسة التكريع المنتهجة من قبل غلاة السياسة في العالم، ولعل ما أقدمت عليه أمريكا من احتلال للعراق، والتحرشات المتوالية ضد سوريا (باستصدار قانون لمحاسبتها)، ومحاولة منع إيران من اكتساب التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية، برهان ساطع وبيان فاضح لعولمة البغي والاستكبار.

ويأتي تصريح 'مادلين أولبرايت' وزيرة الخارجية في عهدة الرئيس 'بيل كلينتون' كي يكشف النقاب عما تبقى من أوراق اللعبة السحرية الأمريكية المسماة العولمة باعتبارها أسوأ الحلقات في مسلسل الإمبريالية العالمية، حيث تقول: " إن أمريكا هي الأمة الضرورة، وهي صاحبة المسؤوليات العالمية، والمستعدة لعمل كل شيء وقت ما تريد وليعلم الجميع أننا نفعل ما نريد و نغير ما نشاء. ولا تقف في طريقنا عقبات لأن العالم لنا، العالم للأمريكان" (23).

وتكشف هذه التصريحات المشحونة بالإعجاب والممزوجة بنبرات الاستعلاء والعنجهية عن هوس أمريكي بلذة كرسي القيادة، والطموح الزائد في البقاء فيه مهما كان الثمن. فالولايات المتحدة بامتلاكها لترسانة ضخمة من الأسلحة فائقة التطور، وتحكمها في إدارة دواليب الاقتصاد الحر، تريد أن تجعل من العولمة عصا سحرية تدير من خلالها العالم في الاتجاه الذي يليي مطامحها التوسعية، ولو تطلب ذلك إشهار عصا العقوبات الاقتصادية، والتلويح بالتدخل العسكري، مما يحيل العولمة إلى شكل مفضوح من أشكال الإرهاب الذي تزعم أمريكا محاربته

من حيث هي تسعى ممارسة إلى إذكائه.

وهو ما يعترف به وزير الخارجية الأمريكي الأسبق 'هنري كيسنجر' معتبرا أن العولمة ليست إلا شكل من أشكال الهيمنة الأمريكية، ويتسق هذا الاعتراف مع التوصيف الذي قدمه 'روجي غار ودي' للعولمة بأنها "نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق" (24).

كما أن السياسة الأمريكية القائمة على الوعد والوعيد، والمنح والمنع، كانت مناورة ناجحة وابتزازية استطاعت من خلالها أمريكا افتكاك الكثير من المواقف العربية المُحققة للمطامح والمرامي الأمريكية، والممزقة للصف العربي الذي ما فتئت الغطرسة الأمريكية تراهن على تشنته وتفريق شمله. لاسيما إذا ما تعلق المر ببعض الملفات المصرية مثل القضية الفلسطينية، والحرب على العراق، وابتزاز سوريا، وإغراق لبنان في صراعات طائفية مقيتة، ضمانا لاستدامة التفوق الإسرائيلي في المنطقة.

وترتفع من كل أطراف العالم صيحات منادية بإعادة النظر في آليات وأساليب صنع القرارات المصرية في حاضر ومستقبل الأسرة الدولية، وعدم تركها لعبة في أيدي زمرة من العابثين بالشرعية الدولية، فهناك مجموعة صغيرة هي التي تقرر مصير الكرة الأرضية وبما يخالف رغباتها وإرادتها في الغالب.

إن سلوك أمريكا المستهتر بالآخر المُغاير جعلها تكرر المؤسسات الراحية للسلام العالمي كآليات لتبرير الحرب والاعتداء على المقدسات والحرمات وانتهاك الحريات وسيادة الدول المستقلة، والغريب أن كل هذه الخروقات الناشرة تتم تحت دعاوى زائفة ومقيتة كالتدرع بحماية الحرية ونشر الديمقراطية وتصفية الأنظمة الشمولية، دون أن تتلقى أمريكا طلبا من أحد للقيام بهذه المهام المُبينة سلفا.

ولعل هذه الممارسات تتم عن الرؤى الأمريكية الجديدة الرامية إلى إعادة هندسة المحيط الدولي بما ينسجم مع توجهات العولمة الأمريكية، فقد " عمدت الولايات المتحدة إلى انتهاج سياسة مزدوجة، وجهها الأول هو إحلال حلف الناتو محل الأمم المتحدة ليكون مسؤولا عن إدارة السياسة الدولية وضمان السلام -حسب المزاعم الأمريكية- الحروب في البوسنة وكوسوفو هي خير مثال على ذلك)، والوجه الثاني هو إضعاف الأمم المتحدة" تقدر مديونيتها للمنظمة الدولية بملياري دولار، أي حوالي 64% من مجموع ديون الأمم المتحدة" (25).

أما على صعيد تطبيق القانون الدولي، فإن الشرعية الدولية ذات الصبغة الأمريكية، تبدو شرعية عرجاء فاقدة للتوازن، فهي خرساء إذا ما تعلق الأمر بإسرائيل التي صدر في حقها ما يزيد على 300 قرار لم يطبق منها ولو قرار واحد، فإسرائيل لا تشعر بأي مسؤولية دولية

وتضرب بكل القوانين والمواثيق الدولية عرض الحائط، وكيف لا ؟ وهي تحضى بالحماية من قبل أمريكا- الحريصة على تطبيق الشرعية الدولية- وقد تابع العالم برمته كيف منعت الولايات المتحدة استصدار قرار يدين إسرائيل المارقة لممارستها إرهاب الدولة واغتيالها الجبان 'للشيخ ياسين' أبرز رموز المقاومة الفلسطينية، وذلك باستعمالها لحق الفيتو كما كان صنيعها في كل مرة يتعلق الأمر بخرق إسرائيل لكل الأعراف والقوانين الدولية، أما إذا تعلق الأمر بدولة أخرى تسارع أمريكا إلى التباكي على الشرعية الدولية- الأمريكية- وتجمع من حولها الأبواق كي تشركهم في سفك دماء الأبرياء، وما حدث في العراق في سنة 2003 لا يحتاج إلى مزيد بيان، فلم تكف أمريكا 22 قرار التي جرت مجلس الأمن الدولي - الأمريكي- إلى إصدارها في حق العراق والتي طبقت بخدافيرها رغم إجحافها، بل تذرعت بكل الحجج الواهية حتى حققت أطماعها في احتلال العراق ونهب ثرواته، وبعد هذا هو عالم الرخاء الذي وعدنا به الأمريكان؟ أهذه هي العولة الأمريكية؟ عولة المعايير المزدوجة التي تعاقب الضحية وتُبرئ الجاني عولة تكرس القوة لا لحماية المستضعفين، بل لإبادتهم وإسكات أصواتهم المطالبة بحقهم في الحياة الحرة الكريمة.

" ولاشك في أن فهم العولة باعتبارها مشروعاً للهيمنة يساعدنا في فهم محاولات إعادة رسم الخريطة الجيو سياسية والجيو اقتصادية للمنطقة العربية بمهدف طمس الهوية العربية والتخلص من المشروع العربي بلا رجعة" (26).

ويمكن إدراج المرامي الأمريكية- لكسر جهود الجامعة العربية في تحقيق التآلف العربي ونبد الفرقة، وكذا مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي أفصح عنه الرئيس الأمريكي أخيراً، والذي يجعل من إسرائيل قوة محورية في المنطقة الممتدة من كراتشي إلى الرباط مع إحالة الجامعة العربية على التقاعد- في المخطط الأمريكي الرامي لتغيير الخارطة الجوسياسية تبعاً لما طرأ من تطورات في المنطقة أخيراً" وعلى الرغم من اختلاف الفكر العربي في تقويم هذه الترتيبات الإقليمية المطروحة، فإن ثمة اتفاقاً عاماً على وجود مخاطر وسلبات ترتبط بالمشروعين الشرق أوسطي والمتوسطي قياساً بمرجعية النظام العربي الذي تحسده جامعة الدول العربية" (27).

غير أن التطورات التي حثت في الـ 15 سنة الأخيرة أعادت - للأسف الشديد - العمل

العربي المشترك إلى نقطة الصفر وفتحت المجال للمخططات الهيمنة الأمريكية كي تتوغل في قلب الأمة العربية وتُحدث فيه شرخا عميقا و" في هذا المناخ وجدت الإمبريالية الأمريكية فرصتها في التمدد والهيمنة على كثير من مناطق العالم عموما، وعلى منطقتنا العربية خصوصا متذرة بأحدث الذرائع الزائفة تحت عنوان 'مقاومة الإرهاب' وجوهره مقاومة وتركيع كل إمكانية أو حركة تستهدف استنهاض عوامل القوة ... والوحدة العربية، يمثل ما تستهدف تكريس تبعية شعوب هذه الأمة و تخلفها من جهة، وإعادة هيكلتها وتكييفها بما يضمن إلحاقها بصورة شبه مطلقة لسياساتها في المنطقة التي تستهدف تجديد الدور الوظيفي للعدو الصهيوني ودولته بما يتوافق مع مستجدات المصالح الأمريكية العولمة الراهنة، بحيث تصبح إسرائيل 'دولة مركزية' في المنطقة العربية والإقليمية يحيطها مجموعات من 'دول الأطراف' المتكيفة التابعة مسلوقة الإرادة، بما يضمن ويسهل عملية التطبيع والإدماج الإسرائيلي في المنطقة العربية سياسيا واقتصاديا" (28).

ورغم هذا السبات الذي يلف الأمة العربية فأما لا تعدم مقومات النهوض واستعادة دورها الريادي على المسرح السياسي العالمي رغم ما يحاك ضدها من دسائس ومؤامرات لفل عزيمتها وتأخير وثبتها المأمولة، ذلك أن: "الجواد العربي قفز قفزات رائعة وسريعة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وكان لا بد من استراحة، غير أن استراحته طالت كثيرا أمام تحديات النظام الدولي وتقلباته" (29) على حد تعبير 'جاك ريسلر'.

إن الإستراتيجية السياسية التي تعتمدها العولمة تقوم على التفكيك، وإشاعة روح الاستسلام والتسليم بالعولمة كقدر محتوم يستعصي على المقاومة، وتنتهج أمريكا في ذلك ما يسمى بالإستراتيجية ثلاثية الشعب " الأسلحة النووية للولايات المتحدة دون سواها، وحقوق الإنسان، والأسلوب الأمريكي في ديمقراطية الانتخاب ... وسوف تتبنى الولايات المتحدة هنا دور الشرطي العالمي، وتفرض قسرا سلطتها من خلال عمليات تدخل حسب اختيارها (وأغلبها عمليات قصف بالقنابل من ارتفاعات شاهقة) في مناطق تزعم أنها مناطق الخطر من وجهة نظرها. " (30). وهذا ما حدث بالفعل في أفغانستان والعراق، ثم تفويض الكيان الدخيل - إسرائيل - بالاعتداء على لبنان وفلسطين.

2-3- البعد الثقافي:

تمثل العولمة تحديا ثقافيا غير مسبوق في تاريخ البشرية " تحديا ذو طابع ارتقائي خاص قائم على الاجتياح الثقافي، اجتياح لفرض ثقافة العولمة... وتلك الثقافة قادرة على النفاذ والدخول عبر كل الأبواب، واجتياح الحدود والأسوار" (31).

فالواقع يقدم الدليل بأن العولمة " تسعى من خلال آلياتها إلى إضعاف الثقافات المحلية من خلال خلق نواة مفتعلة تستجيب بشكل محسوب لإبعازاتها وما تريده منها، كما أنها تسعى لاستمالة العقول وتعويدها على تجسيد نمط الحياة والاستهلاك على الطريقة الأمريكية" (32).

ولذلك يتواصل السعي حثيثا ودون هوادة لأجل تعميم ثقافة العولمة على الصعيد الكوني من خلال الترويج للاستهلاك دون حدود، وبث قيم تركزس الانهزامية، والولاء للأقوى ولو كان ضد الحق، وتُسخر ترسانة إعلامية ضخمة في فرض هذا الواقع وعلى رأسها الإنترنت والفضائيات.

وما تجنيد كل هذه الوسائل الثقيلة من قبل مسوقي نظام العولمة إلا إدراكا منهم بأن الشق الثقافي فيها يعد من أشد الأبعاد حساسية واستعصاء، بالنظر إلى الصعوبة التي تنطوي عليها مسألة احتواء الخصوصيات الثقافية وترويضها كي تستجيب للدوبان في مشروع ثقافي يُراد له أن يتعولم ويصبح النمط السائد كونيا، ذلك أن " جوهر ولب العولمة هو التوحيد النمطي للثقافة العالمية وإخراج الصور المحلية أو التقليدية، أو استبعادها لتفسح الطريق للتلفزيون الأمريكي وللموسيقى والأطعمة والملابس الأمريكية.

وثمة خوف من أن النماذج الأمريكية ستحل محل كل ما سواها" (33).

وتشير لغة الأرقام أن أمريكا تسعى لتعويم السوق العالمية بالمنتجات الهوليودية الأمريكية فقد " بلغت قيمة الصادرات الأمريكية من المواد الثقافية 60 مليار دولار عام 1991 (34).

وقد تفتطنت بعض الدول الغربية وعلى رأسها فرنسا مبكرا إلى النية الأمريكية المبينة لغزو العالم ثقافيا، فسارعت إلى المطالبة باستثناء المنتجات الثقافية من سياسة التسليع والخضوع لمعايير السوق الرأسمالي، وقد نجحت هذه المرافعات في إخراج الأفلام والمسلسلات التلفزيونية من قائمة الملفات القابلة للتفاوض بشأنها" ولقد بذلت الولايات المتحدة جهدا مكثفا منذ نهاية

الحرب العالمية الثانية لتأمين هيمنة أ فلامها على الأسواق الخارجية - وهو إنجاز أخذ طابع سياسي داخل الولايات المتحدة حيث بات أحد البنود التي يجري إدراجها ضمن المعاهدات وبرامج المساعدات... ولكن فرنسا تتميز بمقاومتها لهذا الشكل المحدد للإمبريالية الثقافية الأمريكية." (35).

ولعل أبرز تشخيص لأهداف العولمة على الصعيد الثقافي ورد في البيان الختامي لندوة القاهرة حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟ حيث جاء فيه " إن الفكر الأمريكي يقود الحضارة اليوم، وهو يحاول تفريغ الإنسان من الشعور، محاولة منه إرساء نفسه بصفته يمثل الحضارة الوحيدة، وهو يختزل التنوع الثقافي وينظر إلى تجاربه باعتبارها تجارب كونية " (36).

وقد استغلت أمريكا الطفرة التقنية و الاتصالية في ترويج أطروحاتها الباهتة القائلة بأن العالم قد دان لأمريكا وان نموذجها الثقافي - كما هو السياسي والاقتصادي - هو الأحسن والأفضل في أعين الجميع ولا مفر من التسليم، وهي دعوة صريحة لنفض الأيدي من الثقافات الوطنية ورفع راية الولاء للثقافة الأمريكية وإعلان البراء من الهوية الذاتية. وهكذا "بدأ الإعلام في عصر العولمة يلعب دورا مفككا للثقافة القومية لصالح الثقافة الأمريكية التي هي الثقافة المراد عولمتها. في هذا الإطار فإن القول بالقرية الكونية يحتوي على مضامين خفية، منها ما يؤكد على أن كل شيء في العالم بات مفتوحا على الأثير اللامتناهي، والهيمنة الفعلية لمن يمتلك وسائل الإعلام الأكثر قوة والأكثر فعالية... ولم يخف 'ديفيد روشكوف' المدير الحالي لمعهد كيسنجر فهمه لمضمون القرية الكونية عندما قال : إن الهدف الأساسي للسياسة الخارجية في عصر المعلومات، هو الفوز بالسيطرة على موجات البث مثلما كانت بريطانيا تسيطر على البحار.

وتأسيسا عليه يصح القول بأن الإعلام لم يعد آلية لتأكيد الثقافة القومية، ولكنه أضحي سلاحا لاغتيالها في عقر دارها بإيعاز من الغزاة الجدد .

وقد تصاعدت حدة التوجس أخيرا من مغبة أمركة الحياة على الصعيد العالمي، إذ كشفت استطلاعات الرأي أن الأشرطة السينمائية الأمريكية " أصبحت تهيمن على أذواق الأوروبيين حيث أن 90% من الألمان يفضلون السينما الأمريكية و 87% من البلجيكي و 3% من الإيطاليين " (37).

ومن ثمة فإن المعضلة الكبرى التي تشوب التفكير الأمريكي المتطرف، لا تتعلق بالشأن الاقتصادي أو السياسي فحسب "بل إنها تتعلق بالتدمير المنهجي للحياة الإنسانية كما ينبغي أن تكون" (38).

فالعنجهية والمكابرة تدفع بالعملة الأمريكية إلى القفز على واحدة من أبرز مسلمات التنوع البشري المفضية إلى إغناء المسيرة الإنسانية وإثرائها، ولذلك فرأس الحكمة يقتضي أن تستفيد العملة من التنوع لا أن تلغيه.

ويعرب بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة سابقا، وأمين عام المنظمة الفرنكفونية حاليا عن تمسكه بالحفاظ على مبدأ التعددية الفكرية والثقافية قائلا: "هدفنا الدفاع عن التعددية الثقافية.. التعددية اللغوية، فلو سيطرت لغة واحدة على المجتمع الدولي فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف اللغات الأخرى. وهذا خطأ كبير وخطير.. فاللغات هي في رأيي بمثابة التراث الإنساني.. وثراء المجتمع الدولي قائم على تلك التعددية.

وكما أن هناك منظمات دولية أنشئت للدفاع عن البيئة وعن بعض النباتات وعن بعض الحيوانات، يجب أيضا الدفاع عن الحضارات وعن الثقافة، عن التعددية الثقافية والتعددية الحضارية" (39).

إن سنن التميز تقتضي المحافظة على خصوصية الذات الإنسانية مهما كانت درجات التماهي والانسجام مع الآخر، فهناك خطوط الممانعة التي تقتضي الاعتراف من الآخر والحماية من الأنا، مع السماح بقنوات التواصل والتفاعل والحوار في إطار صيرورة التجاور الحضاري. والثقافة الخلاقة هي تلك التي تمد جسور التواصل مع الثقافات الأخرى مهما كانت مسافات الاختلاف، لا أن تسعى إلى تصفيتيها والتوقيع مكانها، ذلك " أن بداية النهاية لأي ثقافة، هي حينما تتجه إلى اختزال وقائعها ومفاهيمها في البحث عن الأشكال المتوافقة أو المنطبقة مع مفاهيم وأشكال الثقافات الأخرى... فأفق المغايرة و الاختلاف من الآفاق المهمة لأي ثقافة، لأنه يوجهها إلى أسئلتها الخاصة، وتحدياتها الملحة، ويدفع باتجاه الحوارات النقدية الواعية مع الثقافات والمكونات الثقافية الأخرى" (40). ومن هنا يتضح وهن ثقافة العمولة التي تريد تخليد ذاتها بخنق كل الثقافات، ونفي باقي الخصوصيات. وهو توجه خطير يرمي إلى تهينة الظروف لزحف التصحر الثقافي عالميا.

3- آثار العولمة:

3-1- الإفكار المعنوي للعالم:

لعل المتتبع للخطة الدكتاتورية التي تسعى من خلالها الثقافة الأمريكية إلى الإنفراد بالمشهد الكوني، يستكشف تلك العقدة الدفينة التي تؤرق الزعماء الأمريكيان، الذين يحذوهم طموح يائس في جعل ثقافة لا تاريخ ولا ماضي لها، تحتكر حاضراً ومستقبلاً البشرية. وبالتالي فإن هذه الثقافة العولمة بتجاهلها لسنن التغيير، تحمل بذور فنائها في ذاتها.

وهذا ما عبر عنه 'ريتشارد نيكسون' في كتابه "ما وراء السلام"، الذي نُشر بعد وفاته حيث يقول: بلادنا قد تكون غنية بمصادرها وخيراتنا، ولكنها فقيرة في روحانياتها واليوم عدونا يكمن في أنفسنا.

وإذا صح لوصفة العولمة التنفيذ وفقاً للتزوات الأمريكية، فسيكون ذلك آذان بنشوء ديكتاتورية عالمية أكثر سوءاً وأشد بطشاً من الدكتاتوريات الوطنية التي ما فتئت أمريكا تزعم محاربتها بدعوى تعميم الديمقراطية على النمط الأمريكي، وقد يؤدي ذلك "شيئاً فشيئاً إلى القضاء على التنوع الحضاري والتعددية الثقافية التي تثري الحضارة الإنسانية، وستكون له آثار في قلوب الفكر الاجتماعي الاقتصادي السياسي للشعوب" (41).

وهو ما يؤكد أننا "أمام حضارة قوية طاغية تركب فوق حضارة قديمة صلبة وعميقة الجذور ولكنها غير مستعدة لتلقي الصدمة الجديدة بعد" (42).

والمتتبع للبرامج التي تبثها وسائل الإعلام -ولاسيما الحديثة منها- على عدد كبير من المتلقين ينتمون إلى أعراق وأديان وأيديولوجيات مختلفة، لا يحتاج إلى جهد كبير كي يلمس آثار هذه المضامين المحمولة على شاشات الفضائيات العالمية في المعتقدات والعادات والأخلاق وأساليب الحياة. ومن ثمة فهي تهدف إلى صياغة العقول وتنميط الفكر وتوجيه السلوك وفق ما ترتضيه أيديولوجية العولمة.

3-2- تفكيك الاقتصاديات الوطنية و هيمنة الشركات متعددة الجنسيات:

تهيمن الشركات متعددة الجنسيات التي تتموقع في مختلف جنات العالم على قرابة 90 % من إجمالي التجارة " المية، وبذلك فهي تمثل العمود الفقري للعولمة، ومن خلال هذه الأسواق

تستطيع العولمة مراقبة وضعية الاقتصاديات الوطنية وتوجيهها لصالحها، لا لصالح المجتمعات النامية، لأن العاملين في سوق العولمة لا يعترفون بالظروف الخاصة لأية دولة، وإنما يعترفون فقط بقواعدهم... فالقطيع يرعى في 180 دولة، لذلك ليس لديه الوقت أن ينظر إلى وضعك بالتفصيل. إنه يتوصل إلى أحكامه بصورة خاطفة عما إذا كنت تعيش استنادا إلى قواعده⁽⁴³⁾.

بل يتم أحيانا فرض هذه القواعد المُجحفَة بقوة الحديد والنار، تحت حُجج واهية مثل نشر الحرية وتصدير الديمقراطية، وإشاعة حقوق الإنسان، ومحاربة الإرهاب، والانخراط في دواليب النظام العالمي الجديد... الخ، الذي يعني وفق الأجنحة الأمريكية نشر ثقافة البوب، والروك، والهمبوغر، والجيتار، والكوكاكولا. وتتولى الشركات متعددة الجنسيات التوزيع بعد أن تفتح وسائل الإعلام شهية المستهلكين. وعلى حد تعبير الباحث الأمريكي 'بنيامين داريه' فإن الثقافة العالمية الأمريكية هي ثقافة ماكدونالدز، وهي لا تبالي بالديمقراطية وهدفها هو إيجاد مجتمع عالمي للاستهلاك وهذا هو بيت الداء الذي ترتعد له فرائس الكثرين في القرن الحادي والعشرين.

ذلك أن " الجديد اليوم في عملية الأمركة هي نوعية ومقومات القوة و التوائر المتسارعة في استخدامها، حيث تمتاز نيران وجحيم الصواريخ بالعقوبات الاقتصادية والضغط السياسية، والهجوم الدائم لوسائل الإعلام بتقنياتها الجديدة." ⁽⁴⁴⁾.

و تعاني الاقتصاديات الوطنية بفعل برامج التعديل الهيكلي - المملأة في الغالب من المؤسسات الدولية المانحة - من عدة تحديات تترجمها عمليا جملة من التوترات والاختلافات الاجتماعية مثل ارتفاع الأجور، ضعف القدرة الشرائية، تدني مستوى المعيشة، ارتفاع معدلات البطالة (ما يزيد عن مليار عاطل عن العمل في حالة بطالة كاملة أو جزئية)، ازدياد حدة الفقر والحرمان الاجتماعي، ورغم تدخل الدولة لمساعدة الفئات المحرومة من خلال الشبكة الاجتماعية، وصناديق التضامن الوطني، إلا أن مساحة الفقر مافتتت تتوسع، على الرغم من غنى المجتمع

بالثروات المعدنية، وتوفره على الموارد البشرية المؤهلة. وبالتالي فأن سياسة العولمة المبنية على فتح الأسواق للتجارة الخارجية لا يهدف إلى تنمية المجتمعات الأقل تقدما، بل يسعى في المقام الأول إلى استنزاف مكامن القوة فيها، وفتح مناطق نفوذ للشركات المتعددة الجنسيات، لأنها تعلم مسبقا أن اقتصاديات هذه الشعوب من الصعب أن تقف في وجه المنافسة الشرسة

للمنتجات الأمريكية؛ لذلك يصف الباحث "ادوارد لتواك" Edward Luttwak عصر العولمة، بأنه عالم شمولي لا مكان فيه للخاملين، وأن ما يجري في السوق الرأسمالي هو الرأسمالية النفاثة، القائمة على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء. ففي هذا الجو المهوس بالجرى خلف الربح، يصعب على الاقتصاديات الناشئة المثقلة بترسبات سوء التسيير والفساد المستشري في كل دواليب الحكم والإدارة أن تنافس بكفاءة، وتحقق التميز في عالم شعاره: إما أن تأكل أو تؤكل. ذلك أن من لا يقدر على المنافسة على الأسواق عليه أن يتروى إلى متاحف التاريخ، ولا مكان للأقزام بجانب الكبار على حد تعبير أحد الباحثين.

وتقدم القنوات الإعلامية العربية خدمة مجانية للشركات متعددة الجنسيات بتقديم الإشهار لسلع ومنتجات هذه الشركات، حيث بينت دراسة أجراها الباحث علي عبد الرحمان عواض، أن 90% من الإعلانات التي تُروج لها هذه الإعلانات في ثلاث قنوات عربية تُروج لمنتجات غير وطنية. وهكذا يتحول الإنسان بالتدريج إلى وعاء استهلاكي، تخلق فيه وسائل وأدوات العولمة الأذواق والرغبات التي تُشكل ثقافته الاستهلاكية.

3-3- غياب العدالة وتدهور الأمن الاجتماعي:

الثقافة الأمريكية التي يُراد لها أن تصبح أنموذجا عالميا هي التي تخلف ما يزيد عن 9000 قتيل سنويا، أي بمعدل قتيل كل ساعة تقريبا. حتى تسلل اليأس إلى نفوس الناس من إمكانية استعادة الأمن وأصبحوا يرون أنه لامناص من التعايش مع هذا الوضع المنفلت، فالجريمة هي الضريبة التي تقابل التقدم وفق ثقافة عصر العولمة.

فحتى القضاة رمز العدالة في المجتمع لم يسلموا من الاستهداف ففي عدد من مدن أمريكا يحتفظون بمسدسات في أدراج مكاتبهم، وهم يستمعون لمداولات المحكمة، وقد صرح مسؤول الشرطة 'شرمان بلوك' قائلا: إن مستوى العنف منتشر على نطاق واسع وهناك مئات الآلاف من الناس قد حُرِّموا من حقوقهم الأساسية، فلم يستطيعوا حتى المشي في شوارع أحيائهم بعد حلول المساء، وعلى أطفالهم أن يناموا على الأرض حتى يتجنبوا الرصاصات الطائشة التي قد تأتي عبر النوافذ.

وفي الوسط الجامعي يعبر الطلبة عن استيائهم من تردي الأوضاع في بلادهم، وتصرح إحداهم قائلة: العنف هو رد الفعل المناسب للاضطهاد العنصري... ففي دولتنا توجد قوتان فقط لهما احترام وهما: المال والعنف.

أما النخبة المثقفة من المفكرين وأساتذة الجامعات، فترى هي الأخرى أن القطار الأمريكي يسير خارج السكة وفي اتجاه مجهول، وقد صرح أحد علماء النفس قائلا: إن الولايات المتحدة هي قوة عظمى من الناحية العسكرية، وأما من الناحية السياسية والثقافية فهي بدائية، وإلا كيف نفسر أن 90% من ثروة البلاد هي في يد 1% من الناس.

وعلى الصعيد الاجتماعي يعاني النظام الأسري الأمريكي من الهشاشة، ويتعرض لموجات من الاهتزاز و التصدع، ومن بين إفرازات هذا الوضع وجود قرابة 5 ملايين طفل يعيشون في معزل وخوف أثناء انتظار عودة آبائهم من العمل، كما تصاعدت وتيرة عمليات الطلاق لتصل إلى ذروتها بحوالي 1.2 مليون حالة سنويا، مما رفع نسبة الطلاق إلى 50 % من حالات الزواج، ونتج عن هذا الارتفاع المريع لنسب الطلاق في المجتمع الأمريكي أن أصبح أزيد من ثلث أطفال أمريكا يعيشون في بيوت بدون أحد الأبوين .

تشير التقديرات أن 10% من الأطفال يتعرضون للاعتداء الجنسي عليهم كل عام، في العادة من قبل أفراد يعرفونهم مثل أستاذ المدرسة أو دكتور العائلة أو مستشار المخيم أو مراقبي الأولاد أثناء غياب الآباء في العمل أو بواسطة الآباء أنفسهم، وفي كل سنة يوجد في منطقة لوس أنجلوس وحدها ما يقارب 30 ألف طفل ومراهق تستغلهم شركات الأفلام الجنسية والمجلات الفاضحة .

وبصورة عامة فإن الجيل الأمريكي الجديد يعيش حالة من التيه الفكري مرده غياب بوصلة التوجيه وعدم وضوح المعايير الأخلاقية، عدم القدرة على القيام بعمليات ضبط داخلي يتعاملون بها بإيجابية مع المجتمع والحياة "(45)".

ولعل هذه الصورة المزرية للمشهد الثقافي والاجتماعي الأمريكي هي التي تدفع بالكثيرين لرفض استيراد هذه الثقافة المثقلة بالمتابعب حفاظا على نقاء الثقافات الوطنية من عدوى الإفلاس الثقافي الأمريكي نظرا لأن "الثقافة المستوردة تنتهك المحظورات الثقافية ليست فقط فيما تقدمه

من تصرفات اجتماعية غير مقبولة وعنف وجنس ولكن أيضا من خلال تقديم أساليب جديدة للتعامل وعادات استهلاكية وتمرد على سيطرة الأسرة" (46).

إن هذه العادات والسلوكيات الناشئة أضحت موضع استنكار داخل البيت والمجتمع الأمريكي ذاته بفعل آثارها المدمرة على الاستقرار الاجتماعي ذلك "أن الجمهور في الولايات المتحدة ينتابه القلق لأن التلفزيون والسينما تهدم القيم العائلية" (47).

وقد شخص الرئيس الفرنسي المنتهية ولايته "جاك شيراك" أبرز الأخطار المصاحبة لظاهرة العولمة قائلا: إن العولمة بحاجة إلى ضبط لأنها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة، وهي وإن كانت عامل تقدم، فهي تُثير أيضا مخاطر جدية ينبغي التفكير فيها جيدا، ومن هذه المخاطر ثلاثة: أولها أنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي، وثانيها أنها تنمي الجريمة العالمية وثالثها أنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية.

ومن ثمة فالعولمة ظاهرها فرص وباطنها مخاطر تحتاج إلى تحفز دائم وحذر مستمر فكأنك تسبح في بحر تسكنه كائنات خطيرة تلقف كل مايعترضها، وبالتالي فهي-العولمة- أشبه ما تكون بكائن أخطبوطي متعدد الأرجل هم يلتهم كل ما يصادفه في طريقه غير آبه بالغافلين بمعنى أنها "مجموعة آليات لإنتاج نظام هيمنة شامل، وإن التعامل معها يجب أن يكون أشبه بخوض معركة مستمرة، تحتاج إلى حشد الطاقات وتعبئة الموارد والتخطيط المتقن، والتنفيذ الجيد والمتابعة الدائمة" (48).

وتتوالى النداءات المخدرة من مغبة الآثار المترتبة عن العولمة، متبلورة في هيئة اتجاهات نقدية تحاول فهم القوانين الحاكمة للعولمة، وتدرك سلفا أن العولمة عملية تاريخية فعلا ولكن ليس معنى ذلك التسليم بحتمية القيم التي تقوم عليها في الوقت الراهن، والتي تميل في الواقع إلى إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم، وتقديمه في صورة جديدة ... وبالإضافة إلى ذلك بدأت

تتصاعد داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حركات مضادة للعولمة لم تقنع بالنقد التفصيلي لكل جوانب العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية ولكنها أبعد من ذلك تحاول أن تقدم البديل على حد ما يذهب إليه الباحث مصطفى رجب.

4- البديل عن العولمة:

على الرغم من الحرب النفسية التي يقودها مخرجوا مسلسل العولمة ضد العالم معتبرين أنها - العولمة - حتمية لا مفر من الإيمان والتسليم بها، ويستحثون خطى سكان هذا الكوكب لركوب موجة العولمة السريعة حتى لا يبقوا على هامش التاريخ، فإنه من التعسف أن يوصف بالحتمية اختيار لا يعكس إلا نفاذ الطاقة أو استعجال المكافأة. وهو موقف ظالم، لأنه يُحمّل عدة أجيال قادمة عبء فشل جيل بعينه، فاعتبار ظاهرة ما حتمية، يتوقف أيضا على المدى الزمني الذي يأخذه المرء في اعتباره⁽⁴⁹⁾.

ومن ثمة فإن فكرة الثقافة الكونية والحضارة العالمية هي أشبه ما تكون بالمؤامرة التي تُسجت خيوطها بليل في مخابر الغرب الحاقدة على الإنسانية، بغرض الانتقام من الشعوب ذات الإرث الحضاري العريق، والتخلص من عقدة الماضي التي تزعج الأمريكيين بالخصوص، وبالتالي يحصل لهم التعالي المطلق بعد إبعاد التاريخ من سيرتهم الذاتية، وتوجيه الأنظار نحو راهن المدينة الغربية" المعجبة بمنجزاتها، والتي تحصر الحضارة في ذاتها، وتنصرف عن الحضارات الأخرى، وتنظر إلى تطورها وكأنه تطور الإنسانية بكاملها، وإلى عهودها وكأنها مراحل التقدم أو خاتمها⁽⁵⁰⁾.

فأمريكا ماضية في سياستها الرامية إلى إيهام العالم بأن نموذجها الحضاري هو أصلح النماذج لقيادة البشرية، ولسان حالها يقول : ينبغي على الأمريكيين ألا ينكروا حقيقة أنه بين كل الأمم التي عرفها تاريخ العالم، فإن أمتهم هي الأكثر عدلا، والأكثر تسامحا والأكثر حرصا على تقييم الذات وتحسينها، وهي النموذج الأفضل للمستقبل .

وعليه فإن أي نظام يقوم على الحتمية ويتنافى مع السنن الكونية، وأبرزها سنن التنوع والتميز، مآله الفناء مهما كانت القوة التي تسنده، ومهما كانت رصانته العلمية ومبرراته العملية. فدروس التاريخ علمتنا أن "كل نظام ظالم للإنسان، أو عقيدة قاهرة للفطرة ، أو منهج يفرض الهيمنة على الإرادة الإنسانية ويتحكم في أشواق النفس البشرية الروحية وتطلعاتها الثقافية وطموحها الحضاري، هو إلى انهيار وزوال، لأنه يُصادم سنة الله في خلقه، ويتنافى مع فطرة الله التي فطر الناس عليها"⁽⁵¹⁾.

وبالتالي فإن نمر العولمة الجامح بحاجة إلى ضبط حتى لا يدوس على كل القيم والمعايير ويفسد مسيرة الإنسان نحو الترقى الحضاري، وقد انطلقت التوجسات من قلب أمريكا نفسها وعلى السنة كبار ساستها ومسؤوليها، فهذا الرئيس الأمريكي الأسبق 'بيل كلينتون' يوجه نداءه التحذيري من مخاطر العولمة ووحشيتها وذلك خلال انعقاد اجتماعات صندوق النقد الدولي عام 1998. وتبعه الرئيس الفرنسي 'جاك شيراك' حيث ذكر في كلمة له بمناسبة اليوم الوطني الفرنسي (14 يوليو 2000)، أن العولمة رغم بعض إيجابياتها إلا أنها تنطوي على الكثير من المخاطر، ويجب التخفيف من غلوها عن طريق السيطرة عليها وجعلها أكثر إنسانية.

وقد ازدادت في السنوات الأخيرة حدة المعارضة للعولمة، و تنامت حركة المناهضين لمشاريعها الرامية إلى الزج بالإنسانية في متاهات غير محسوبة المخاطر، وقد عبر المفكر الفرنسي "جيريمي ريفكن" عن حدة الغضب الذي تواجهه العولمة على الصعيد الكوني مشبها النموذج الثقافي الأمريكي السائد والمسيطر على العالم بسجن كبير للثقافات المحلية. ومع زعم العولمة أنها الهواء الصحي الملائم للعالم، إلا أن مسيرة الامتعاظ من تلوث مناخها، وفساد هوائها، ولعل ذلك ما سرع من وتيرة البحث عن رؤية بديلة تكون أرضية صلبة لمناخ عالمي يسمح لكل الثقافات أن تتنفس، وإخراجها من سجن العولمة الذي سبب لها حالة من الاحتناق، إنه المشروع المأمول الذي يصنع الوحدة في إطار التنوع.

والمشروع البديل يستوعب ثغرات في جسد العولمة ويتجاوزها من خلال رؤية مختلفة للكون والإنسان والحياة؛ فإذا كانت العولمة تترع إلى نفي ذات الآخر المختلف ثقافيا وتسعى إلى التحنيط الثقافي للإنسانية، متنكرة لإسهام الآخرين في إثراء وازغناء تاريخ البشرية الحافل بالإنجازات، وتكون بهذا الصنيع قد نسخت جهدا بشريا كاملا فلم يعد فيها اليوم من تلهمه الحياة أي معنى إنساني، فقد أصبح الإنسان مَبْوتَقا.

إذا كان هذا هو نهج العولمة في التعاطي مع الإنسان والحياة؛ فما هي صورة هذا النموذج الذي يُمكن أن يُغير القبلة من جديد لو تخلى الفكر العربي الإسلامي عن الجنب التاريخي وارتقى به الوعي إلى مسؤولية الرسالة ؟ إنها رؤية حضارية بديلة تستند إلى قاعدة صلبة وفكر واثق من جذوره قادر على البقاء والوراثة الحضارية انطلاقا من الإرث الحضاري الزاخر بالعتاء، مما يؤهله لاكتساب نظرة واثقة وقراءة واعية للراهن و الإسهام في تحديد مستقبل الإنسان

والإنسانية، وعلى ضوء ذلك فإن إنسان العالمية- المشروع البديل للعولمة- ذو رؤية كونية شاملة تستوعب مختلف أبعاد التكوين الإنساني، فالإنسان وفق منهجية هذه الرؤية ليس مُسودات يُكتب عليها التاريخ مشروع حياة ثم يلقي بها في محرقة المراحل، إنه الكون مُجسداً في وحدة عضوية واحدة⁽⁵²⁾.

ومادام النظام الكوني قائم على سنن التوازن والتناسق والانسجام فإن العالمية (Universalism) تعني في ضوء هذا المنهج "أن أبناء هذا العالم بمختلف قبائله وشعوبه ولغاته ومثله ونحله، يعيشون على هذه الأرض، فلا بد أن يتفاهموا فيما بينهم تمهيداً للتعاون الدائم على خير الجميع، ولا مانع أن يأخذ بعضهم من بعض. ولا يجوز أن يفرض بعضهم على بعض لغته أو دينه أو مبادئه أو موازينه. فالاختلاف في هذا الإطار طبيعي جداً، والتعاون ضروري أبداً، لمنع الصدام والحروب والعدوان."⁽⁵³⁾.

وبناء عليه فالعالمية (universalism)، هي طموح إلى الارتقاء والارتفاع بالخصوصي إلى مستوى عالمي. العولمة احتواء للعالم، والعالمية تفتح على ما هو كوني وعالمي، كما يرى الباحث ميهوب غالب أحمد. وعلى ضوء ذلك فإذا كانت العالمية هي إثراء للهوية وإغناء للتنوع الحضاري، فإن العولمة هي فرض هوية واحدة وطمس ماسواها، وسلب للخصوصية وإفناء للتنوع الحضاري.

ومن ثمة فالأمر لا يتوقف عند مجرد تمنيات بل يدعو لبذل مزيد من الجهد الخلاق، قصد توفير الفرص المواتية لطرح البديل الإيجابي لما تتخبط فيه العولمة من أحوال ثقافية وفضائحية سياسية وما س اقتصادية، وهي أضواء حمراء تعلن اقتراب رحيل العولمة، والرؤية الإسلامية المعاصرة... يمكن أن تسهم إسهاماً فعالاً في صياغة نسق القيم العالمي الذي تدور المعركة الآن حول صياغته في مختلف أركان المعمورة، لأن مجاهدة النموذج الثقافي المفروض بحاجة إلى مخطط

علمي مدروس ومنهج، يبدأ بتركيز ثقافة الممانعة، فالرفض والمجاهدة، ثم ابتداء وخلق نماذج من العمل الثقافي المتميزة بالأصالة والمعاصرة، تعي تاريخها، وتعيش حاضرها، وتخطط لصنع المستقبل الواعد بالخروج من دائرة التلقي المطواع لما ينتجه الآخر إلى أفق المنتج الفاعل والشريك المؤثر في معادلة الحضور والتمثيل على ركح المشهد الثقافي العالمي. ويقدم المفكر مالك بن نبي بعض الخطوط العريضة حول ما تتطلبه المرحلة من العقل المسلم كي يرتقي إلى مستوى

النهوض بمسئوليته في إحداث الوثبة المرغوبة، من خلال توجيهه لإدراك رسالته الحضارية المتمثلة في تمرير العالم ومعالجته نفسيا واجتماعيا قائلا: "إن مهمتنا يجب أن تكون قائمة على أساسين ومتجهة إلى هدفين :- رفع الإنسان المسلم اجتماعيا إلى مستوى الحضارة.. - ورفع الإنسان الغربي أخلاقيا إلى مستوى الإنسانية التي تفصله عنها العاهات النفسية الموروثة من عهد الاستعمار" (54).

وعليه فالحضارة الإسلامية تملك مشروعا غنيا يستوعب مختلف الإنشغالات التي تحفل بها الساحة العالمية، ويستجيب لتطلعات إنسان القرن الواحد والعشرين. "إن المجتمع الدولي في حاجة إلى المسلمين وإلى معرفة خصوصياتهم الثقافية لإثراء التراث العالمي للإنسانية وللتفاعل مع الثقافات والحضارات الأخرى في إطار الحوار بين الحضارات على أن يكون هذا الحوار هادفا ومستمرا ومتميزا. " (55).

إن المركبة الإنسانية بحاجة إلى ضوابط أخلاقية، تتيح حالة من التوازن الذي لا يستأثر فيه طرف - مهما كانت صولته بنصيب غيره- مجتمع يراعي خصوصيات أفراده باعتبارها مصدر إثراء له، وصيانة لبنائه من التصدع والانحيار، لأن قصور الجهود الفردية مهما علت كفاءتها، تجعلنا نقر بحاجتنا إلى الآخر، كما هو بحاجة إلينا، وهذا الإقرار من شأنه المساهمة في إذكاء الحوار و الثقافة والتفاعل الايجابي على الصعيد الكوني، ومن ثم يتفياً سكان العالم ظلال السلام والأمن والرخاء والتقدم، وهذا عين ما يطمح إليه برنامج العالمية.

الخاتمة:

بات واضحا أن العولمة التي زعم مروجوها بأنها الوصفة السحرية التي ستنهي آلام العالمين وتخفف مواجع المستضعفين في الأرض، لم تكن في مستوى ما كان يعلق عليها من آمال فقد طفت على السطح سريعا نرجسية صناع تمثال العولمة وجشعهم المفرط وميلهم الجامح إلى إلغاء الآخر وعدم السماح له بإيصال صوته الخافت واثبات حضوره في موكب العولمة المتسارع، ولعل ذلك ما أفسد نشوة الطامعين في نظام عالمي أكثر عدالة وإنسانية وتسامحا بعد أن خيبت سمفونية العولمة الكاذبة والمتهافئة آماهم، حيث سرعان ما انزاح الغطاء الواهم عن وجهها

الكالح لتسفر عن رؤيتها الطوباوية الرامية إلى جعل الكرة الأرضية صدى يردد أناغيمها زاعمة أن العالم يجذب الإنصات إلى عزفها وليس له بديل آخر لكن هيهات.. فقد زاد غرور العولة عن حده فانقلب إلى ضده، فدائرة الرفض والنفور من مشروع العولة تزداد اتساعاً لأنها مبنية على فكر تصادمي مغلق يعتمد القوة وسيلة لإرهاب الآخر وحمله على الانضواء داخل دوامة العولة الاجتماعية وهذا نزوع مُتهافت لا يحترم المبادئ الإنسانية، ولا يُقيم وزناً لذات الآخر وخصوصياته الحضارية، ويعلمنا التاريخ أن مثل هذه التوجهات التي تتعارض مع السنن الكونية وتتنكر لمسلمات الوجود البشري، مآلها الفشل والزوال، فالبشرية بحاجة اليوم إلى بديل يكتسب بقاءه من صلاحه وليس من قوته وعنجهيته، البديل الذي يوفر دفء الإنسانية والقبول بين ساكني المعمورة، ويتيح للجميع فرصة التعايش مع الاختلاف، والتفاهم مع التنوع فهل ستهتدي بصيرة الوعي العالمي إلى ضالتها؟ الإجابة نتركها للزمن فالتاريخ خير شاهد والزمن جزء من العلاج. وعليه فالعالمية المنشودة تشكل البديل الحضاري الأقوى والأنبج في إعادة التوازن إلى المركبة البشرية التي تتجه صوب الانتحار، وتعالى صرخات الركاب طلباً للنجدة العاجلة، ولن يتأتى ذلك إلا بإصلاح الخلل الناجم عن إهمال جانب مهم في حياة الإنسان من خلال إنعاش الحياة الروحية في الإنسان حتى يستقيم منهاج البشرية، وتعود إلى ممارسة الحياة الخلاقة، حياة المعنى والتوازن.

إن نظام العالمية البديل لا يبخس الآخر حقه ولا ينقص من قدر موروثه الحضاري والثقافي بل يحثه على الاعتزاز بأصالته وعدم الانسلاخ عن ذاتيته، مع الانفتاح والمرونة في التعامل. مما يحقق رابطة الوحدة الإنسانية العالمية.

المراجع

- 1- السيد ياسين، في مفهوم العولمة، المستقبل العربي، ع 288، (م. د. و. ع)، بيروت (لبنان) فيفري 1998، ص 06.
- 2- عبد الكريم بكار، العولمة، دار الإعلام، عمان (الأردن)، ط 3، 2002، ص. 12.
- 3- O'Rourke & j. Williamson, when did globalization be gain?, Nation olberrean of economic research(nber), march 2000.
- 4- برهان غليون، العرب وتحديات العولمة الثقافية (مقدمات في عصر التشريد الروحي) محاضرة أقيمت بالجمع الثقافي أبو ظبي، 10/ 4 1997/.
- 5- محمد الحماد، العرب وقطار العولمة السريع، مجلة المنتدى، ع، 106 ، عمان (الأردن)، 1998، ص. 16.
- 6- باسم علي خريسان، العولمة والتحدي الثقافي، دار الفكر العربي، بيروت (لبنان)، 2001، ص. 24.
- 7- francois chesmais, observatoire de la mondialisation, seuil, paris, 1998, P19.
- 8- سعيد اللاوندي، بدائل العولمة، دار نخضة مصر، القاهرة، ط 2، 2002، ص. 08.
- 9- عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص 11-12.
- 10- أسعدي إبراهيم، مونية رحيمي، نظرية صدام الحضارات أو التهديد الإسلامي واقع أم اختلاف، منشورات الفرقان ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء (المغرب)، ط 1، 1999، ص 04.

- 11- ليلي شرف، تعقيب في العرب والعولمة، (م . د . و . ع)، بيروت (لبنان) يونيو 1998، ص357-358.
- 12- محسن أحمد الخضيري، العولمة الإجتياحية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ط1، 2001، ص191
- 13- نفس المرجع، ص.23
- 14- حمدي عبد الرحمان حسن، العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي (رؤية عربية) ، المستقبل العربي، ع258 (م. د . و . ع)، بيروت(لبنان) 8 / 2000 .
- 15- محمد دياب، عولمة الاقتصاد، العربي، ع494، وزارة الإعلام، الكويت جانفي 2000، ص.09
- 26- عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص45..
- 17- غازي الصورائي ، العولمة وطبيعة الأزمات السياسية ، الاقتصادية، الاجتماعية في الوطن العربي وآفاق المستقبل، ص06.
- <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=979>
- 5.
- 18- سعيد اللاوندي ، مرجع سابق، ص.05
- 19- المرجع نفسه، ص66-67.
- 20- حسين علي، مرجع سابق، ص.03
- 21- رضا عبد السلام ، مرجع سابق، ص.8
- 22- المرجع نفسه، ص.18
- 23- سعيد اللاوندي ، مرجع سابق، ص.10
- 24- روجيه غارودي ، العولمة المزعومة ، الواقع، الجذور، البدائل، تعريب محمد السبيطلي، دار الشوكاني، صنعاء، 1998، ص.131
- 25- سعيد اللاوندي، مرجع سابق، ص.17
- 26- حمدي عبد الرحمان حسن، مرجع سابق، ص.81

- 27- المرجع نفسه، ص. 09
- 28- غـازي الصوري، مرجع سابق، ص 21
- 29- ميهوب غالب أحمد، العرب والعولمة، مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل، في العولمة وتداعياتها على الوطن العربي (م. د. و. ع)، بيروت (لبنان)، 2003، ص 21.
- 30- فريدريك جيمسون، العولمة والإستراتيجية السياسية، ترجمة شوقي جلال، الثقافة العالمية، ع 104 (م. و. ث. ف. آ)، الكويت، فبراير 2001، ص 04.
- 31- محسن أحمد الخضير، مرجع سابق، ص 57
- 32- نور الدين زمام، العولمة ومعارك الثقافة، جريدة الأيام، ع 23، 2003، ص 31
- 33- فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 07
- 34- أديب خضور، سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون (الدراما التلفزيونية)، دار الأيام الجزائر، ط 1، 1999، ص 34.
- 35- فريدريك جيمسون، مرجع سابق، ص 186.
- 36- كريم أبو حلاوة، الآثار الثقافية للعولمة (حظوظ الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة)، عالم الفكر، المجلد 29 - العدد 3، يناير - مارس (د.ت)، ص 75.
- 37- سعيد اللاوندي، مرجع سابق، ص 06.
- 38- محمد خليفة، النظام الدولي بين المقصود والمنشود، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط 1، 1992، ص 46.
- 39- بطرس غالي، هدف الفرنكفونية الدفاع عن التعددية الثقافية، لقاء العدد، مجلة السياسة الدولية، ع 133، 1998، ص 72.

- 40- محمد محفوظ، من الإسلام السياسي إلى الإسلام الثقافي (ملف)، مجلة الحج والعمرة، ع3 السنة 57، (م. ع. س)، 2002، ص. 06.
- 41- ليلي شرف، التحديات التي تواجه الإعلام العربي في المرحلة القادمة، مجلة الرسالة ع5، 1997، ص. 08.
- 42- المرجع نفسه، ص24-25، 32، 40.
- 43- محمد صالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سوريا)، ط1، 2001، ص144.
- 44- منير الحمش، العولمة... ليست الخيار الوحيد، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1998، ص35.
- 45- مختار خليل المسلاقي، مرجع سابق، ص169-170.
- 46- جيهان أحمد رشتي، الآثار الثقافية عبر الأقطار الصناعية، الثورة التكنولوجية ووسائل الاتصال العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990 ص. 28.
- 47- عبدالله عبد الدايم، العالم ومستقبل الثقافة العربية، المستقبل العربي، ع222 (م. د. و. ع)، بيروت (لبنان)، 1997، ص.
- 48- عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص133-134.
- 49- جلال أحمد أمين، العولمة، دار المعارف، القاهرة، 1998، ص42.
- 50- أوزرالد شبنجلر، انحطاط الغرب، ترجمة أحمد الشيباني، نقلا عن باسم علي خريسان، مرجع سابق، ص197-198.
- 51- عبد العزيز غثمان التويجري، العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي (أيسيسكو)، الرباط، 2002، ص16-17.
- 52- محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، (المجلد الثاني)، دار ابن حزم بيروت، 1996، ص. 546.

53- العولمة من منظور إسلامي.

<http://www.islamonline.net/arabic/contemporary/articles/2001/article5-1.shtml,p01>.

54- السيد ياسين، المعلوماتية وحضارة العولمة، دار فضاء مصر، القاهرة، ط2 2002، ص23-24.

55 - محمد عمارة، الإسلام وضرورة التغيير، كتاب العربي، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت ط1، 1997، ص22.